مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص445-460

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الدور الديني الثقافي في تكريس الحوار والتعايش الاجتماعي

Religious and cultural role in establishing dialogue and social coexistense

بلبول نصيرة *

جامعة الجلفة –الجزائر–

belboul@gmailcom Nacera

تاريخ الاستلام: 2020/06/14 تاريخ القبول: 2020/07/23

ملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة التي تتناول أثر القيم الدينية في تنظيم العلاقات الاجتماعية ضمن إطار يضمن مبدأ التعايش ويفتح الآفاق نحو سياسة تقبل الآخر العمل على إبراز دور القيم الدينية ومكانتها في المجتمع ضمن واقعها الذي يستمد معطياته من خلال مجموع المؤثرات التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية...وغيره، والتي بدورها تصنع الأنساق الثقافية التي تحدد خصوصية المجتمعات، خاصة من حيث العلاقات والتفاعلات التي لا يمكن انكارها في عملية توظيف وأقلمة القيم الدينية داخل النسيج الاجتماعي ككل، خاصة والعالم يعيش جملة من التغيرات والتطورات التي يفرضها نظام العولمة والتي لها الأثر البارز في استحداث مشاهد ووقائع غيرت المفاهيم والممارسات في الكثير من المواضع، وأصبحت الضرورة تستحضر سؤال التعايش وكيفياته أكثر من أي وقت مضى.

كلمات مفتاحية: الدين، القيم، التعايش، الثقافة، العولمة

Abstract:

Through this study,which deals with the impact of religious values on the organization of social relations within a framework that guarantees the principle of coexistence and opens horizons towards a policy that accepts the other, we try to highlight the role of religious values and their place in society within their reality, which derives its data through the sum of historical,social,political and economic influences...And others,which in turn create cultural patterns that define the privacy of societies,especially in terms of relationships and interactions that cannot be denied in the process of employing and acclimating religious values within the social fabric as a whole, especially and the world is living a set of changes and developments imposed by the globalization system that have a prominent impact in creating scenes And facts that changed concepts and practices in many places, and the necessity evokes the question of coexistence and its modalities more than ever.

* **المؤلف المرسل**: بلبول نصيرة، **الايميل**: nacerabelboul@gmail.com

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص445-460

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Keywords: religion; values; coexistence; culture; globalization

مقدمة:

ساهمت الدراسات المتراكمة حول قضايا الدين والمجتمع في بروز الكثير من الآراء والاتجاهات التي تعبر في أغلبها عن الإيديولوجيات الفكرية المختلفة والطبائع الإنسانية المتناقضة والمنسجمة، فتعددت الكتابات والتصنيفات، وتطورت الآراء والبحوث بتطور العلوم والمعارف، لكن ضمن كل هذا المسار الإجماع كان واضحًا حول الأهمية التي يمثلها الدين في المجتمعات من خلال القيم التي يبثها في النظم الاجتماعية ودخولها ضمن النسيج الاجتماعي في شكل عادات وتقاليد وضوابط يؤمنها النسق الثقافي، ولعل العودة للدين في ظل نظام العولمة وافرازاتها أصبح من الطروحات التي تأتي ضمن أهم الثنائيات المتناولة في الوقت الراهن.

قراءة الدين من خلال المجتمع

من منطلق أن الدين يشكل مجموعة من القواعد والقوانين والقيم وينظم سلوك البشر في إطار نمطي معين وتأتي بدايته عبارة عن فكرة ثم اعتقاد ترسخه العادات والتقاليد التي تكرسها المجتمعات في ممارساتها بما يتوافق مع القيم التي يحملها الدين ويعالج أكثر الاستفهامات حيّرت الإنسان في رحلة بحثه الطويلة عن الحقيقة وهو طرح لازم البشرية، نجد أن التساؤلات بقيت تدور في خُلد الإنسان وتحمله إلى إعمال الفكر والروح حول الكثير من المسائل العالقة التي لم يتمكن العقل وإنجازاته لحد الآن من الوصول إلى كنهها، في حين أن الدين صاغ لها إجابات وتأويلات يستأنس بها الإنسان ويركن لها.

لقد وصل الكثير من الدارسين إلى أهمية الدين في تشكيل الأنساق الاجتماعية من بينهم **صامويل هانتغتن**[1] عندما يقول: "إن ما يهم النّاس ليس هو الأيديولوجيا، أو المصالح الاقتصادية، بل الإيمان والأسرة والدم والعقيدة، فذلك هو ما يجمع الناس، وما يحاربون من أجله...، والدين محوري في العالم الحديث، وربما كان القوة المركزية التي تحرّك البشر وتحشدهم". حيث يعتبر **صامويل هنتغتن** من أبرز من تناول في العصر الحديث موضوع صراع الحضارات والثقافات، ليتوصل في الأخير إلى أن الدين الذي يشكل الثقافات في الكثير من المجتمعات هو جوهر هذه الاختلافات والصراعات والتي تدخل في نسيج البناء الثقافي وحتى الحضاري التي تصنع خصوصية هذه الأنظمة.

ويسبقه فكر **ماكس فيبر** وتأويلاته الاقتصادية الاجتماعية للدين، حيث قسم الدين إلى قسمين[2] هما، الدين التقليدي والدين العقلاني، كما قام بتحليل طبقات المجتمع المختلفة وموقف كل منها تجاه الدين، ليصل إلى تأكيد تأثير (نوع) العلاقات الاجتماعية على (نوع) الدين بوصفه معرفة من حيث التقليدية أو العقلانية، كما أن الدين بوصفه نوعا من المعرفة يظهر بين الطبقات بمستوى واحد وصورة متّفقة.

لقد أثبت **فيبر** دورا للدين في بلورة السلوك الاقتصادي والتحول في العقلانية الأوروبية "فبحسب الإيمان بالقدر يأتي خلاص الفرد بالإيمان وحده، فالله وحده من يعلم ويحيط بمن سيكون من النّاجين، ومن سيكتب له الخسران لتبقى الإمكانية الوحيدة المتاحة، بيد الإنسان أن يعيش إيمانه في الدنيا بمثابة الرسالة، هكذا يكرّس حياته لفعل ما يحثّه الرّب على فعله لإتمام عمله بنجاح فرحمة الرب مرتبطة بمدى نجاح الفرد، ويصبح عيش عمله الخاص كالتزام دعاه الرب في هذا العالم لإتمامه، وبالتالي الفعل الاجتماعي، على معيار أخلاقي على منهج عقلاني، وعلى منسك معيّن، قد يكلّفه ذلك تضحيات في الوقت الحاضر لتحقيق نتيجة ايجابية مستقبلا"[3]. فثمّة عقلانية الفعل الخلقي التي يحتاجها النشاط الاقتصادي، هذا الطرح الفيبري جمع فيه بين الكالفينية والرّأسمالية من خلال العناصر الأخلاقية التي تصب مباشرة نحو إنتاج الرأسمالية الحديثة.

لم ير **ماكس فيبر**[4] أنّ العوامل الثّقافية مثل المذاهب الدينية ذات أهمية في رسم معالم المجال الاقتصادي والاجتماعي والمادي فحسب، بل أكد أنّ العكس صحيح أيضًا، فقد تترك العوامل المادية أثرًا في الديانات، وطرح فكرة "النزاعات الانتقائية" التي تشير إلى العلاقة الخاصة التي تنشأ بين العوامل المادية والمثالية في بعض الحالات، والتي تمارس بموجبها كل منها التّأثير في الأخرى، فعلى سبيل المثال مالت بعض الطبقات الاجتماعية إلى تبنّي أخلاقيات دينية معينة "عوامل مثالية" حتى تتمكن من الحفاظ على نفوذها وثروتها أو زيادتهما، إذ تحافظ الطبقات الأرستقراطية على قوّتها جزئيًا عن طريق تبني طقوس دينية دقيقة كوسيلة لإقصاء الطبقات الأقل شأنًا منها، ونتيجة لذلك نجد أنّ الطبقات الأرستقراطية تنجذب إلى الديانات ذات الطّابع الشّكلي التي تتسم بطقوس دينية دقيقة جدا بتفاصيلها وتتبناها تاركة وراءها العبادات التي تتصف بالحماسة والانفعالية للطبقات الأدنى في السلم الاجتماعي.

لقد شكل الدين عند عالم الاجتماع **ماكس فيبر** المحور الأهم في دراساته، كما ساهمت طروحاته في دعم الرأسمالية كتوجه اقتصادي من خلال منطلقاته وأفكاره الدينية وهذا ما يبدو جليًا في كتابه: "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"، ويقع مكمن العلاقة بين الطرح الفيبري والرؤيا المغتنتونية في الدور المحوري للدين داخل المجتمعات والاعتماد عليه من أجل السيطرة على العملية التغيرية التي تحدث داخل المجتمعات، وهو الهدف الذي تسعى له أغلب الدراسات في ظل نظام العولمة وتأثيراتها التي سادت أغلب دول العالم.

دور القيم الدينية في بناء النسق الثقافي

يتمظهر الدين في ثقافة الأفراد وممارساتهم فيتجسد أمامنا من خلال الطقوس والعادات والضوابط التي يسير عليها المجتع، ليتيح لنا بذلك الدراسات العلمية نحو تناول دور الدين في المجتمع الذي يبدو أنه موضوعا لا يمكن أن نصنفه ضمن سلسلة الدراسات الآفلة لأنّ وتيرة الاهتمام تتزايد وتتفرع أكثر فأكثر، كما أنه واحد من أبرز مصادر القيم، وحسب ما جاء به **بارسونز** فإن[5] " القيم لها دور موجهات الفعل في المواقف الاجتماعية فهي عناصر منظمة لسلوك الفرد في مواقف لأنها بمثابة تصورات ثقافية تصدر عن أشياء مرغوب فيها بعمليات الاختيار والترجيح".

الإعتماد على القيم مرتبط لما تؤديه من وظائف اجتماعية[6] باعتبارها أجزاء أساسية من الثقافة حين تعبر عن تلك العناصر المشتركة والجوانب المقبولة اجتماعيا والمحددة في أنساق رمزية ومن ثَم دخلت القيم كعناصر جوهرية في تركيب البناء الاجتماعي، تساعد القيم على عملية التكيف الثقافي وعلى فهم النظم والأدوار وأنماط السلوك لذلك كانت عملية اكتساب القيم من العمليات الثقافية التي تؤكد الشعور بالتماسك فترسم محددات الفعل وتنظم التوقعات المنتظرة. كما يرى **ماكس شيلر** أن تشكل الأنماط المثالية لنظم الثقافة وما يتعلق بها من قيم ومثل عليا نتيجة دوافع حقيقية، وهو يميز بين الإنسان الجوهري الذي يخضع لوحدة الطبيعة الإنسانية الثابتة اللامتغيرة وتتجاوز حتمية التاريخ والزمن والإنسان الواقعي الخاضع للديناميكية والتغير وحتمية التاريخ.[7]

يعمل الدين على دعم القيم الثقافية[8] ويعتبر مصدرًا مهما للقيم الأخلاقية، لذلك ارتبط وظيفيًا بالمجتمع كشيء ضروري لبقائه واستمرار التوازن في الشؤون الإنسانية، ولاشك أن هناك صعوبات ومخاطر في تحويل التحليل الوظيفي من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات المركبة، ويرجع هذا الانفصال الحاد

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بين النظم الاجتماعية في الحياة الحديثة إلى الاختلاف حول تعريف الدين، وقد ساعدت الوظيفة على الاهتمام بالدين وربطه بالمركب الثقافي والاجتماعي الكلي. وقد استدلّ **مالك بن نبي**[9] في نظريته الخاصة بدورة الحضارة التي عرضها بالتركيبة الدينية الثقافية، حيث يؤكد أيضا **كيسر لنج** على كون أعظم ارتكاز لحضارة أوروبية هو الاعتماد على روحها الدينية.

يستمد النسق الثقافي مجموعة من العناصر التي ينتجها الدين وتأخذ قيمتها من خلال علاقتها به، وحسب **دوركايم**[10] فإن: "القيم والمثل العليا هي الأسس الوجودية التي يستند إليها المجتمع لتحقيق وجوده وتطوره وهي بصفة الروح في جسم المجتمع فهي تأليفات اجتماعية من الأفكار والمبادئ الجمعية، فالمثل العليا ليست مجردات، كما أن القيم ليست مجرد تصورات عقلية مجردة أو قوالب جامدة تنقصها الحرارة والفاعلية والقوة، إذ أنها بالضرورة قيم دينامية لما وراءها من قوى تسندها وتثبتها وتدعمها".

في هذا الباب انتقد **دوركايم** النفعيين[11] في تناولهم للأخلاق وما تتميز به القيم من كلية وضرورة، بتصوره أن ما يسعد به إنسان قد يكون مصدر شقاء للآخر حيث تتعارض الرغبات وتتباين الانطباعات، ولتجاوز هذه الصعوبات القائمة في فلسفة الأخلاق النفعية ينبغي أن ننتقل بفكرة الكلية والضرورة من مستوى الفرد إلى الجماعة والمجتمع ورفض تحقيقها في الذات الفردية لأنها في رأيه قائمة في الذات الجمعية، وبذلك التفت إلى فكرة الضمير الجمعي الذي اعتبره مصدرا للقيم، حيث أن القيم لا تكون موضوعية وعامة إلا إذا اعتبرناها في ذاتها قيمة جمعية، وليصبح التقييم الجمعي هو مصدر كل تقييم لأنه حاصل على كل المتغيرات الفردية والذاتية.

ثنائية المعرفة والدين

واقع الدين في المجتمعات الغربية يختلف عن واقع الدين في المجتمعات المسلمة ففي حين كان هو سببا في انحطاط الحضارة الغربية، ودخولها في ما يسمى بعصر الظلام نجد أنه كان السبب في ازدهار الحضارة الإسلامية، وقيامها بسبب تبنيها لتنظيم الدولة على أسس[12] تحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وتنمية الشعور بالكرامة الإنسانية والقضاء على النعرات العنصرية والاختلافات الطائفية العنصرية، ووضعت إطارا عاما للنظام المدني يحتوي تشريعا كاملا لجميع الأسس القانونية، وتنظيم علاقات الناس بعضهم مع بعض وعلاقاتهم بالسلطة والمحافظة على الحقوق الخاصة للأفراد والحقوق العامة للجماعة.

جدلية الدين والعقل جاءت وفق طرح فلسفي قديم، وعلى قدمها بقي الطرح قائمًا رغم كثافة التناولات، واستمرار هذه البحوث يرجع إلى ما نشهده من تغيرات وأحداث تحمل في طياتها جذور دينية وتناقضات فكرية، غير أن ارتباط المفهوم بالوظيفة الاجتماعية لضمان الاستمرارية والتوازن وفق تحولات وانتقالات في البنى والنظم الاجتماعية وتغيرها المستمر وسط عناصر ثقافية جديدة تجعل من المجتمعات البدائية مجتمعات حديثة ومن المجتمعات الحديثة مجتمعات أكثر حداثة، هذا المسار المتغير حمل معه معطيات مختلفة أنتجت من المعايير والمفاهيم ما سمح بإضفاء تعقيدا وتركيبا أكثر بخصوص مفهوم الدين، حيث أن تباين الاتجاهات والمواقف تزداد وضوحا وتفرعا والجدل بين العلم والدين وبين العقل والدين يحمل الصورة التي تبرز هذا التباين.

علاقة المجتمع الغربي بالدين تعكس الطرح الذي تناول علاقة الدين بالعقل الغربي، وهي علاقة متوترة مليئة بالصراع، وقد بلغ الصراع ذروته في عصور الأنوار وبداية عصر النهضة، حيث شهدت توترات وحروب انتهت بانتصار العلم على الدين[13]. وظهر ما يعرف باسم الإصلاح الديني الهدف منه خلق توازنات بين العلم والدين داخل المجتمع، وكان من رواده **مارتن لوثر**[14] (1483م-1546م) عندما قدّم تناولًا يقوم على أنّ " لكل إنسان مسيحي مشروعية حق تفسير وتأويل الكتاب المقدّس طالما الجميع قساوسة، الجميع علمانيين، فلكل فرد الحق التّفسير"، ويحث **مارتن لوثر**على ضرورة الثقة بالعقل وأنّه السّبيل الوحيد لفحص المعتقد الدّيني، وذلك بقبول ما يقبله العقل ورفض ما يرفضه العقل، فأصبحت سلطة العقل أعلى من سلطة النّص الديني، ومن ثَمّ أفضى إلى التعددية الدينيّة المعبرة عن تعدد الصياغات الإنسانية للدّين.

الفكر الغربي يسعى إلى فصل الدين عن السلطة وتقليص دوره في حدود تكاد لا تتجاوز جدران الكنائس، خاصة مع ما تعرفه المجتمعات من تقدم تكنولوجي فتح أفاق جديدة ومحاور متجددة لا تعترف بقواعد القيم ولا بضوابط المجتمع، وتحوّل فيها الطرح الديني طرحًا قديمًا يحمل رواسب من الحقب التي تصور لهم عصور الظلام وكل ما عايشوه من ظروف صعبة والتي أحكم فيها رجال الدين سيطرتهم على هذه الشعوب، لذلك فالتمسك بالدين في المفهوم الغربي يعتبرونه رجعية وبإمكانه أن يحول دون الازدهار الذي يعيشه الآن المجتمع الغربي.

وفي هذا السياق نجد مثلا أنّ **روبرت ردفيلد** (1897م- 1958م) عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي يرى أنّ[15]: المقدس ينتشر في كثير من مناشط الحياة بالمجتمعات الصغيرة غير المستنيرة، أما المجتمعات الكبيرة ذات التكنولوجيا المتقدمة، والتي لديها مجموعة أكبر من المعرفة المنضبطة فإنّ مجال النشاط الذي يعدّ علمانيا يقع في نطاق أكبر، والنشاط المقدّس في الوحدات الاجتماعية المتمدنة الفخمة بأوروبا الحديثة وأمريكا ما يزال أقل أهمية في الحياة اليومية، وحيثما يكن له وجود على الإطلاق فإنه يقتصر على المناسبات الرسمية والشعائر الدينية.

إن الجدل القائم بين العقل والدين يتوجه نحو تشكيل صورة تحمل طرحا يناقض كل منهما الآخر، فالعقل يمثل المنطق والتجربة والقوانين ويقوم منطق العلم على أنه كلّما تمكن الفرد من الحقائق وضبط المعادلات والقوانين كلّما حقق تقدّما وتطوّرًا ماديًا يتمثل في ما يقدمه من مختلف الإنتاجات والابتكارات، أمّا الدين فيمثّل الروح والاعتقاد والإيمان بالغيبيات التي تدخل مبادئه النسق الثقافي وتشكل عناصر الضبط الاجتماعي الذي غالبا ما يخلق حاجزا أمام منتجات العلم التي تمس النسق الثقافي، والتي تدخله في عملية تغيرية مبنية على صراعات في إطار مقومات التفاعل التثاقفي.

لقد سجل التاريخ كم كان تناول الدين عند الغرب مجحفًا في حق العلم وفي حق المجتمع ككل، وكم كان متمكنًا ومسيطرًا على الفكر ومقيّدًا للحريات، فعاش الغرب انحطاطًا وتقهقرًا تخبطوا فيه لعدة قرون باسم الدين، حقيقةً هذا هو حال الوضع عند الغرب وهذا ما سبب تحاملًا وسخطًا موجهين للدين. لكن هل كان الوضع مماثلًا عند المسلمين في علاقتهم بالدين؟ وكيف نفسر العصر الذهبي للحضارة الإسلامية للعرب التي تأسست وفق مبادئ الدين..!

إن معطيات تأثير الدين مختلفة تمامًا في العالم الإسلامي عن المجتمعات الغربية، حيث للدين الفضل في بناء الحضارة الإسلامية وليس في قمعها، وفي إخراج الشعوب من عالم الشتات والانحطاط إلى تكوين قوة ضاربة لها من المقومات والخصائص ما جعلها قائمة طيلة قرون من الزمن يشهد عليها التاريخ، وهذا ما يعمق الطرح الديني كبناء يساهم في تكوين النظام الاجتماعي الذي يمهد لقيام حضارة.

إعمال العقل يقودنا إلى مفاهيم دينية بل إنّ الإسلام يحثّ على توظيف العقل في مبادئه وممارساته، ولعلّ استشهادنا بنزول أول آية من السماء قوله تعالى[16]: "إقرأ بسم ربّك الذي خلق" والذي يحمل دعوة صريحة وواضحة إلى العلم والاجتهاد، وبهذا الموقف فالإسلام في محتواه يحمل دعمًا للعلم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والعقل، ولا يشكل معه تناقضًا، عكس ما تحمله الكثير من الديانات الأخرى، وإن ظهر تيارا قويا مِن المنادين برؤياهم التي تحكم على سلبية أثر الديانات على الفكر البشري فبناءاتهم ومنطلقاتهم خالية من المفاهيم الصحيحة للإسلام، ويحاولون في مسعاهم تقليد الغرب في علاقته بدينه علهم يحققون التقدم الذي وصل له الغرب.

في الفكر الإسلامي الفقهي والفلسفي إشكالية العلاقة بين المعرفة الدينية والواقع قد طرحت وتمت مناقشتها في مستويات متعددة، وذلك لوجود نص "وحي" مُنزّل ونصوص مقدسة " أحاديث نبوية "، ومعارف ذات صلة مباشرة بالوحي الإلهي المفارق للواقع والمجتمع وكذلك تأثير الوحي على الواقع وتوجيهه، وهذا ما جعل إشكالية العلاقة بين الواقع والمعارف الدينية تأخذ بعدا أكثر عمقًا، وهذا واضح في كتب الفلسفة والكلام والفقه والأخلاق.

في تناول **مالك بن نبي**[17] لموضوع الثقافة حاول أن يبتعد بمفهوم الثقافة عن العلم، لأنّ الثقافة حسب ما جاء به هي نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة، وهما ليسا مترادفين، فالثقافة تولد العلم دائما والعلم لا يولد الثقافة دومًا، ولا يمكن استبدال أحد المفهومين بالآخر.

لم تنته مناقشة هذه الإشكالية ولم تتوقف عند حدود معينة، بل تجاوزت الدارسين والباحثين المتخصصين في شأن الدين إلى مفكرين وعلماء لهم تخصصات واهتمامات أخرى بسبب تشابك العلاقات وتداخلها، فالجدل القائم بين الدين والعقل يعكس طرحا مختلفا من منظور له بواعث وحيثيات مختلفة أيضا.

تأثير العولمة على النظام الاجتماعي ومقوماته

يُعتبر تحوّل العولمة إلى قوّة اقتصادية تمتلك كل وسائل التّقدم والتّطور المتنامي، السبب المباشر الذي جعل منها مركزًا، استقطب الأنظمة الرأسمالية وتمكّن من احتواءها، وأصبح لقوّتها بُعدًا إيديولوجيًا، فانتقل مفهوم العولمة بإسقاطاته الاقتصادية إلى مقاربة عولماتية ثقافية وكان لها الأثر الذي لا نستطيع إنكاره، وهنا يبدأ الصراع الثقافي، وهذه الصورة هي تجسيد لعملية تثاقف كبرى، تحولت فيها وسائل الاتصال إلى أكثر الأدوات فاعلية لهذه التغيرات.

تعددت الدراسات العربية والأجنبية حول العولمة ومضامينها إلا أن أغلبها لا تتفق تماما بشأن تعريفها، كما أنه لا يوجد مفهوم معتمد بالإطلاق بسبب حداثة المفهوم وبسبب علاقته المتداخلة مع

مختلف المجالات ومختلف الأنظمة في المجتمع مما جعل آثاره أيضا تتوسع وتشمل مختلف الأنظمة الاجتماعية، غير أن مفهوم العولمة يدور حول فكرة مشتركة وهي أنها[18]: العملية التاريخية للتكامل الاقتصادي الذي ظهر للوجود بعد الحرب العالمية الثانية في مجالات التجارة، والخدمات والاستثمار في الأسهم والسياحة والديون وتطور في الجانب العقلاني، وفي المعاملات التجارية التي أخذت باتجاهات التدويل الأمر الذي يتطلب استيعاب استراتجيات الاقتصاد السياسي اللازمة لنشر التطور في أغلب مناطق العالم.

حسب **صامويل هانتغتن**[19] فإنّ العولمة تفاقم صدام الحضارات، لأنّ التّفاعل الثّقافي المتزايد النّاتج عن عمليات العولمة المعاصرة يجعلنا أكثر وعيًا بما بيننا من فروق واختلافات وهو يجادل " بأي قوى التكامل في العالم حقيقة، وهي بالتّحديد ما يولد قوى مضادة للتوكيد الثقافي والوعي الحضاري"، على سبيل المثال، أحد التطورات المرتبطة بالعولمة، وتحديدًا زيادة أنماط الهجرة أدى إلى بناء ما يسمى" أوروبا الحصينة"، من خلال إجراءات وتدابير لتقييد الدخول إلى دول الإتحاد الأوروبي، كما أدى إلى تصاعد الدعوة في الولايات المتحدة الأمريكية للحد من أعداد المهاجرين الجدد إليها.

هانتغتون يرى أنّ ذلك يعكس رغبة في الغرب للحفاظ على أساليب الحياة والحضارة الغربية، فالعولمة على حسب قوله تقوّي الانشقاقات الحضارية، وكما يقول فإنّ الحروب تحدث في معظم الأحيان بين المجتمعات ذات مستويات عالية من التفاعل، والتفاعل عادة يُقوي الهويات الموجودة وينتج مقاومة وردود فعل ومواجهة.

بعدما كانت العولمة تحاول اعتماد الشعار المعروف "العالم أصبح قرية صغيرة" والترويج له، ظهر على نقيضه اليوم دراسات تتناول موضوع "صدام الحضارات" و "حوار الحضارات" لضرورة الطرح الذي استحضره الوضع ونسبة للمعطيات التي أصبحت تتوقف عند المعنى الحقيقي الذي يتضمنه الطرح العولمي، متجاوزا الخصوصيات والاختلافات الاجتماعية والثقافية التي تطبع الشعوب، والتي أدت إلى بروز المسائل ومواضيع متعلّقة بالهوية وبالإنتماء، وحالات الهجرة بمعدلاتها المتصاعدة وقوانينها التي باتت أكثر المواضيع تناولا بسبب خلفياتها وأثارها على الصعيد المحلي للمجتمعات وعلى الصعيد الخارجي فيما يخص العلاقات الخارجية والدولية.

دور الثقافة الدينية لتفعيل مبدأ الحوار والتعايش

يعمل الدين على دعم القيم الثقافية، ويعتبر مصدرًا مهما للقيم الأخلاقية، لذلك ارتبط وظيفيًا بالمجتمع[20] كشيء ضروري لبقائه واستمرار التوازن في الشؤون الإنسانية، ولاشك أن هناك صعوبات ومخاطر في تحويل التحليل الوظيفي من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات المركبة، ويرجع هذا الانفصال الحاد بين النظم الاجتماعية في الحياة الحديثة إلى الاختلاف حول تعريف الدين، وقد ساعدت الوظيفة على الاهتمام بالدين وربطه بالمركب الثقافي والاجتماعي الكلي، وفي استخدام الوظيفة يجب أن نكون على حذر شديد بالنسبة للوظائف الكامنة والوظائف الظاهرة والوظائف السلبية داخل المجتمع في جميع علاقاته الفردية والجماعية.

أورد **أحمد بيومي**[21] في دراسته أن وظائف الدين وما يرتبط بها من طقس واحتفال تتضمن في كل مكان سيكولوجية تتعلق بالتخفيف من أنواع القلق والمخاوف، وتوفر الفرصة للتفاعل بين الإنسان والعالم العلوي، ويوفر الدين غالبًا تفسيرًا منظما إلى حد بعيد بخصوص مكانة الإنسان في الكون، ويحمل تأطيرًا لمجموعة من العلاقات تعكس علاقته بالإنسان وعلاقته بباقي الموجودات في بيئته من حيوانات ونباتات، وغير ذلك من ظواهر طبيعة تتشكل منها. ليكتسب الإنسان من هذه العلاقات نمط ثقافي يصبح يصيغ المفاهيم والممارسات الاجتماعية للدين ليشكل ثقافة في التناول الديني.

ويجد أيضا **عبد الله الخريجي**[22] في تناولاته للدين ودروه الاجتماعي أن كثرة العلاقات في عالم الأديان حادثة طبيعية عكس في طياتها حقانية كثيرة من الأديان وأنّ كثيرًا من المتدينين مُحقّون في اعتناقهم لدينهم، وأنّ ذلك مقتضى الجهاز الإدراكي للبشر وتعدد أبعاد الواقع ومقتضى كون الله هاديًا ويريد الخير والسعادة للبشر.

يستمد النسق الثقافي عناصره من الدين كمصدر مهم لتكوينه الذي يشكل هوية الأفراد والمجتمعات والذي يثبت كيانها ويصنع خصوصيتها، غير أن هذه المقومات في عمومها تعتبر عكس ما تستحضره العولمة من مبادئ حيث تدعو إلى الشمولية وتجاوز التعددية ومفهوماتها، لأن صياغة مفهوم العولمة[23] جاء في ضوء حديث النهايات والانتصار الأبدي للقيم الرأسمالية الليبرالية مما جعلها خطابا أحاديا مهيمنا شموليا يلغي وينفي الآخر بصياغة بنية العالم المتعدد والمجتمعات المتباينة، متماثلة في أنماط المعيشة والسلوكات والثقافة وحتى في المدركات الذاتية، ولا يأتي ذلك إلا بالتخلي طوعا أو كرها عن الخصوصيات والتمايزات الفردية للمجتمعات والأفراد، لتلتقي تدريجيا حول قبول نمط واحد للمعيشة إنه

خطاب الحنين إلى الوحدة الذي يبطن هيمنة وتسلّط وسيطرة للثقافة المنتصرة، وهو ما نعده مخاطر العولمة التي تطال هوية الإنسان في أبعاده البيولوجية والنفسية والاجتماعية الثقافية، ذلك أن العولمة من حيث هي تسليع وتسعير وتسويق للوجود وخطاب أحادي وشمولي، تختزل فعل التثاقف في مفهوم الانتشار من حيث هو توسيع وتشمل للنطاق الجغرافي والبشري، فهي سوق كونية وانتشار تسليعي للعالم والأجساد كذوات ينهي كل وجود للأنظمة الاقتصادية والسياسية والثقافية المحلية، كما ينهي الفردية بوسيلة التثاقف والتواصل الالكتروني المعلوماتي كواحد من أبرز آلياته في الوقت المعاصر.

إنّ أثر الإنتاج المادي تزداد وطئته مع غزارته وسرعته مما زاد في سرعة تفعيل التغير الثقافي الذي أحيانًا، وهي كثيرة، لا يتمكن من متابعة هذه الانتاجات بنفس وتيرة التجدد المتسارعة، خاصة وأنّ هذه المنتوجات تقتحم الأنساق الثقافية دونما انسجام أو توافق، ولا تترك المساحة الزمنية المناسبة لاندماج مثل هذه العناصر، مما أنتج ما يُعرف بأزمة ثقافية على مستوى الأفراد فصار عندنا مشكلات مفهوماتية وقيمية طفت على سطح أزمات أخلاقية ونفسية، وعلى مستوى المجتمعات برزت انقسامات وتغيرات وصراعات، تعدّت حدود الجماعات إلى الدول والأقاليم.

وفيما توصل إليه **المهدي المنجرة**[24] في دراساته حول الصراع والحوار أورد أن القيمة تبدأ باحترام الغير وتقدير الآخر في إطار إنصات إصغاء وتبادل الآراء، وليس في ظل هيمنة قيم على أخرى بدعوى وجوب التبعية للأقوى، والتعددية الثقافية هي مصدر الصراع، وهي وراء ثلاث تخوفات مرضية أو فوبيات لدى الغرب التخوف من التضخم السكاني في الدول الإسلامية التي سوف تمثل 40% من ساكنة العالم، والتخوف من الإسلام كدين ترتكز عليه الحضارة الإسلامية، والتخوف من التطور التكنولوجي الأسيوي الذي لم يسلك سبيل النهج الغربي في التقدم، يأتي هذا بعد تناول **روجي غارودي** (1913-2012) لموضوع حوار الحضارات وتركيزه على مساهمة الأديان وركز على الدين الإسلامي في خلق جسور الحوار والتواصل، وأكد على ضرورة انتهاج سبيل الحوار من أجل توسيع مساحة التعايش، خاصة مع التغيرات السياسية التي تعرفها الساحة الدولية.

الخاتمة

لعب الدين دورًا مهمًا في تركيب أنظمة المجتمعات ليصبح عنصرا أساسيا في الكثير من بناءاتها، واستطاع أن يشكل محورًا في تكوين أنسجته من خلال اعتباره المصدر الأبرز في إنتاج القيم

والقوانين والتشريعات، وتفعيل صور ودعائم الضبط الاجتماعي، وبعيدًا عن التصنيفات أو المحتويات التي تتضمنها الأديان نجد أنّها تقوم على فكرة مشتركة تتضمن العبادة والالتزام والخضوع، كما أنّها تحتوي من الغيبيات والروحانيات ما يجعلها تشكّل عالمًا خاصًا، يستأنس الإنسان بوجودها ويتّخذ من محتوياتها عقيدة له تصبح منهجه في الحياة من خلال ما تمليه من قواعد وشروط تؤطر النظم الاجتماعية فتطبع العادات والتقاليد وتحدد صيغة القالب الثقافي السائد.

تناولت الكثير من الدراسات والأبحاث الدين بمختلف الاتجاهات والزوايا التي ممكن أن تخوض فيها مجالات البحث العلمي لما له من أدوار ووظائف داخل المجتمعات، وعرف الدين هو الآخر تغيرات جاءت بالموازاة مع جملة العوامل المؤثرة التي تعرفها الشعوب على جميع الأصعدة.

عملية التغير الخاضعة لمعطيات التطور العلمي والتكنولوجي تعرف شكلا ونمطا تغييريا مختلفا لأن للدين مقومات ومكونات مختلفة ومتميزة، فهي تصنع ثوابت الشعوب الهوياتية والانتمائية و تحدد الشخصية الاجتماعية، وهو موضوع لا يمكن تجاوز حقيقته وقيمته ومدى ارتباطه بالمجتمعات، وأمام ما نشهده من تطور وتغير من أهم افرازاته تنامي الصراعات والانقسامات يصبح التوجه نحو بعث خطابات التعايش وفتح سبل الحوار السبيل الأمثل للحد من وتيرة الصراعات المتزايدة.

الطرح التحاوري الذي تحمله الأديان هدفًا ووسيلة يجب الاستفادة من نهجه، كما أن الثقافة الدينية تحمل في جوهرها طبيعة الإنسان المختلفة في فهمه وفي ممارسته، وما تعدد الأديان واختلافها إلا ترجمة لتعدد الشعوب الذي تعكسه تعدد الثقافات، والذي يعبر عن إرادة الإنسان المشتركة نحو الاعتقاد والإيمان بما هو أعظم وأقدر منه، وهذا في حد ذاته يُعتبر بداية نحو التعايش وتقبّل الآخر، ونحو التركيز على الإنسانية كعنصر مشترك يتمحور حول فكرة المعتقد الديني وإن اختلفت التناولات، وهو ما بإمكاننا توظيفه بما يحقق السلام الذي يكفل التعايش في ظل معطيات العولمة التي تعمل على اقحام عناصرها وخصائصها.

قائمة المراجع

القرآن الكريم.

- اسماعيل قباري، علم الاجتماع والأيديولوجيات، المكتب العربي الحديث باللإسكندرية، مصر،1979.

- أكوافيفا سابينو وباتشي إنزو، علم الاجتماع الديني الاشكالات والسياقات، تر: عز الدين عناية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 2011.
- انغليز ديفيد وهيوستن جون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة: لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2013.
- بيومي أحمد محمد، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.
- الخريجي عبد الله، علم الاجتماع الديني، رامتان-جدة، المملكة العربية السعودية، ط2، 2006.
- خليفة فريال حسن، الدين والسياسة في فلسفة الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
- سروش عبد الكريم ، الصراطات المستقيمة : قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية ، ترجمة: أحمد القبانجي ، منشورات الجمل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة 2009م.
- العبدة محمد ، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق.
- غريب عبد الكريم وآخرون، التواصل والتثاقف، الدارالبيضاء منشورات علم التربية، المغرب، ط1، 2010.
- قاعود يحي سعيد، أطروحات فوكوياما وهانتغتون والنظام العالمي الجديد، مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، 2014.
- كومار ديبا، فوبيا الاسلام والسياسة الامبريالية، ترجمة: أماني فهمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2015.
- مجموعة من الباحثين، سوسيولوجيا المعرفة جدلية العلاقة بين المجتمع والمعرفة الدينية، مركز الغدير، لبنان ، الطبعة الأولى، 2011.
- الميلاد زكي ، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط2، بيروت، 2010.
- هابرماس يورغن و راستنغر جوزف، جدلية العلمنة العقل والدين ، ترجمة: حميد لشهب، جداول للنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2013.
- هنتغتن صامويل، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب، نيويورك، الوم أ، الطبعة الثانية، 1999.
- هوبر بول، نحو فهم للعولمة الثّقافية ، ترجمة: طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، الطبعة الأولى.

مراجع باللغة الأجنبية

-Mannheim ,Karl, Essays on sociology of knouledge, Routledge, London, 1952,

-Richard ,H.K . Vietor, Robent , E. Kennedy ,Globalization and Growth , Cose studies in Economic strategies-Harcourt colloge publisher , 2001 .

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص445-460

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائمة الهوامش

[1]- صامويل هنتغتن، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، نيويورك، الوم أ، الطبعة الثانية، 1999، ص10.

2- مجموعة من الباحثين، سوسيولوجيا المعرفة جدلية العلاقة بين المجتمع والمعرفة الدينية، مركز الغدير، لبنان ، الطبعة الأولى، 2011 ، ص9.

3- سابينو أكوافيفا وإنزو باتشي، علم الاجتماع الديني الاشكالات والسياقات، تر: عز الدين عناية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 2011، ص53.

4- ديفيد انغليز وجون هيوستون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة: لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013، ص 51.

5- قباري اسماعيل، علم الاجتماع والأيديولوجيات، المكتب العربي الحديث باللإسكندرية ، مصر، 1979، ص 86.

6- نفس المرجع، ص 87.

7 -Mannheim ,Karl, Essays on sociology of knouledge, Routledge , London, 1952, p156.

8- أحمد محمد بيومي، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006 ، ص 210.

9 - محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، ص 64.

10- قباري اسماعيل، مرجع سابق، ص 82.

11- نفس المرجع، ص68.

12- عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، راماتن- جدة-1، المملكة العربية السعودية، 2006، ص 90.

13- يورغن هابرماس وجوزف راستنغر، جدلية العلمنة العقل والدين، ترجمة: حميد لشهب، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2013 ، ص22.

14- فريال حسن خليفة، الدين والسياسة في فلسفة الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005 ص 188.

15- عبد الله الخريجي، مرجع سابق، ص 444.

16 - الآية 01 من سورة العلق .

17- زكي الميلاد ، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط2 ، بيروت ، 2010 ، ص 75.

18- Richard ,H.K . Vietor,Robent ,E. Kennedy ,Globalization and Growth ,Cose studies in Economic strategies-Harcourt colloge publisher , 2001, p29 .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

19- بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة : طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى ، ص183.

20- أحمد محمد بيومي ، مرجع سابق ، ص 210.

21- عبد الله الخريجي، مرجع سابق ، ص 447.

22- عبد الكريم سروش ، الصراطات المستقيمة : قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية ، ترجمة: أحمد القبانجي ، منشورات الجمل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2009م ، ص 5.

23- عبد الكريم غريب وآخرون، التواصل والتثاقف، الدارالبيضاء منشورات علم التربية، المغرب، ط1، 2010، ص 103 .

24 - نفس المرجع ، ص 75 .